



تجليات الواقعية في روايتي "الفلاح" لـ عبد الرحمان الشرقاوي
و"الفلاحون" لـ أنطون تشيخوف

Manifestations of realism in the novels *The Farmer* by Abd al-Rahman al-Sharqawi and *The Farmers* by Anton Chekhov

سلاف زراري*، جامعة خنشلة، الجزائر، soullefzerari@gmail.com

هاشي قشيش، جامعة خنشلة، الجزائر، kechiche@univ-khenchela.dz

تاريخ المقال

النشر: 205-06-12

القبول: 2024-06-04

الإرسال: 2024-02-06

ملخص البحث

الكلمات المفتاحية

تعهدت الواقعية من خلال الرواية الغربية/العربية باعتبارها فضاء لمسألة الواقع وتأمله ومعالجة محتواه، وكونها مخزوناً ذاتياً وجماعياً معالجة محتوى الواقع المعيش، وتفكيكه وإعادة بناءه، وشرح الذات واكتشافها بالنزول إلى واقع الهامش الاجتماعي، ونقل المعاناة التي يحياها أبناء الطبقة المحرومة، وعليه يروم البحث وفي عمليتين أدبيين عالميين هما: رواية الفلاح لعبد الرحمان الشرقاوي ورواية الفلاحون للكاتب الروسي أنطون تشيخوف، إلى تعميم رؤية أدبية عن هذه المعاناة التي تعيشها جل المجتمعات في عالم فقد حسه الإنساني، بهدف إبراز السمات المشتركة، أو التي يتقاسمها كل من الأدبيين، انطلاقاً من المبدأ الأساس الذي يقر بتعدد التوجهات الفكرية، والمرجعيات الفلسفية المختلفة التي يستند عليها كل كاتب، جاعلاً تيار الواقعية في الأدب تيارات، مدارس، بناء على خصوصيات الكتاب الثقافية والتاريخية، إلا أن هذه التيارات الواقعية جميعها تلتقي في الغاية، بحيث تسعى إلى إيجاد بديل لما هو قائم، أو على الأقل تعريته وفضحه أملاً في تغييره، وبالتالي فإن واقعية الرواية، سواء أكانت عربية أم غربية، اهتمت بالمجتمع وارتبطت به، ومن ثم نقلت صورته في جميع مستوياته الفكرية، الاجتماعية، الاقتصادية والأخلاقية.

* المؤلف المرسل

Abstract

Realism pledged through the Western/Arab novel as a space for the question of reality and its hope and treatment of its content, being self-stored and collectively addressing the content of living reality, dismantling and rebuilding it, explaining and discovering the self by descending to the reality of the social margin, Conveying the suffering of of the people of underprivileged class, the research aims to two global literary works: The Farmer's novel of **Abdul Rahman al-Sharqawi** and the peasant's novel by the Russian writer **Anton Chekhov**, to disseminate literary insights into the suffering of most societies in a world that has lost its human sense, with a view to highlighting common features, or shared by both literariness, Based on the principle that recognizes the multiplicity of intellectual orientations and the different philosophical references on which each writer is based, Make the current of realism in literature currents, schools, based on the specificities of the cultural and historical book But all these realistic currents meet the end, seeking an alternative to what exists. or at least expose and shame him in the hope of changing him, and therefore the realism of the novel society, whether Arab or Western, has an interest in and attachment to society, thus conveying its image at all levels of intellectual, social, economic and moral.

Keywords

Realism;
Society;
Reality;
Arabic;
Western;
Margin.

1. مقدمة:

اتخذت الواقعية الخطاب النثري وبخاصة الفنون السردية/الرواية ميدانا خصبا لها، وموضوعا للتفكير في الواقع المعيش، وأفقا لمساءلة العصر ومواكبة قضاياها، ويعود هذا أساسا إلى أن الخطاب النثري أكثر التصاقا بالحياة الاجتماعية وقضاياها المختلفة والمتنوعة، بخلاف قسيمه الخطاب الشعري الذي يقتطف ومضات فحسب من الحياة، فالواقعية بوصفها مدرسة، لها خصائصها ومميزاتها التي تميزها عن المدارس الأخرى، كالكلاسيكية والرومانتيكية، جاعلة منها منهجا أدبيا له معالمه الخاصة وماهيته المستقلة، وسمات متعددة يتسم بها الأدب الواقعي في كشف تفاصيل الأحداث ومكوناته، خصائص يتم رصدها لدى الروائيين الواقعيين، سواء الأوروبيين أو العرب على حد سواء، لذا نحاول في هذه الدراسة الإجابة عن إشكالية مفادها: كيف جسد الروائيون الغرب والعرب المجتمع في الرواية الواقعية من خلال نموذجين، هما رواية "الفلاح" لـ عبد الرحمان الشرقاوي، ورواية "الفلاحون" لـ أنطوان تشيخوف؟ وكيف تجلت الواقعية في كلتا الروايتين؟ وما مدى مساءلة الواقع لكل منهما؟ وكيف يلم بالفوارق المتواجد بين الروايتين؟ هذه الإشكالات سيتم تطرحها وفق المنهج الوصفي القائم على آليات التحليل والاستقراء.

1- مفهوم الواقعية في الفن والأدب

تباينت الآراء في تحديد مفهوم الواقعية وماهيتها فهي "تنسب إلى الواقع (le réel) وهو الموجود حقيقة في الطبيعة والإنسان، والواقع نوعان حقيقي وفني، الأول إذا وصفه الإنسان كان صادقا لموافقته ما هو موجود وكائن، والثاني يقوم على خلق إبداعي لواقع لا يشترط أن يكون حقيقيا بحذاقيره، صحيح أنه يغترف عناصره

من الواقع الحقيقي، لكنه يحور ويزيد وينقص ويختلف ويعيد التكوين، ليأتي بواقع ليس نسخة للواقع الحقيقي، بل هو محاك له"؛ (الأصفر، 1999، 134) يتضح من هذا التفسير للواقعية الفرق بين الواقع المعيش، الذي هو حقيقة تجسدت فعلا في الحياة التي يمارسها الإنسان، وبين الواقع الفني الذي يعتمد على هذا الواقع المعيش، ويستقي منه مختلف العناصر التي يسعى من خلالها الكاتب إلى بَيِّنَة مجتمع يصور ذلك الواقع من خلال وجهة نظر الروائي. تبدو العلاقة بين الواقعتين، الفعلية والمتخيلة، علاقة جدلية، مهما اختلفت المفاهيم والرؤى النقدية والجمالية، لأنها في الأخير تنطلق من واقع معيش بجميع تناقضاته، وبُناه المختلفة على المستوى الثقافي والاقتصادي والتاريخي، غير أن هذا الواقع يختلف باختلاف المجتمعات من حيث مرجعياتها الفكرية والسياسية، ومما إلى ذلك من الخصوصيات التي تميز مجمعا عن مجتمع آخر، وبالتالي نجد بعضا من الصعوبة عندما نحاول أن نفسر مفهوم الواقعية، نظرا لتعدد الدلالات التي حاولت إعطاؤها مفهومها يتمشى والأساليب الأدبية التي تجسده؛ نجد أنها- الواقعية- عند بعضهم "محاولة تهدف إلى تصوير الحياة الطبيعية الإنسانية بأوسع معانها وبأدق أمانة ممكنة، وهي بهذا المعنى ترفض أن ترفع الواقع إلى مستوى المثال، أو بمعنى آخر ترفض أن تصور الواقع في هيئة المتكامل، أو المثالي من أجل أغراض معينة، كما ترفض أن تعالج الموضوعات التي تسمو عن عالم الواقع إلى ما وراء الطبيعة"؛ (الشيخ، 2005، 134) أي إن الواقعية بهذا المعنى جاءت كرد فعل لمواقف مختلفة لا تتماشى والواقع كما في الآداب المتأثرة بالفلسفة المثالية، التي حاولت أن ترسم مجتمعات

متكاملة، بوصفها نماذج يحتذى بها، أو تقدم نماذج تخدم توجهها أيديولوجيا معينة، أو تجسد صورة المجتمع ما ورأى بعيد كل البعد عن الواقع.

بناء على ما تقدم تتضح الأهمية الكبرى لتيار الواقعية في الأدب والفن، نتيجة اعتماده على مبادئ فلسفية تبرر أسلَبة الواقع وفق رؤى فكرية موضوعية، بعيدة عن كل رؤية ما ورائية (ميتافيزيقية)، سواء أكانت فلسفية أم دينية أو أيديولوجية قامت الواقعية عند الكتاب الواقعيين باختلاف مشاربهم بدور هام في إعادة النظر الفلسفية تجاه الحياة، وتجاه الفكر الفلسفي، بحثا عن رؤية فلسفية أكثر ارتباطا بحياة الإنسان، وأكثر موضوعية في تناول هذه الحياة، فنزل التفكير الفلسفي من برجه العاجي الميتافيزيقي إلى الواقع، حيث كان هذا النزول – بمعنى إعادة النظر- الذي تجسد في الاتجاه الواقعي في المجال الفلسفي، موقفا قويا من مفكري عصر الواقعية، بوصفه "رد فعل أساسي للتصورات الميتافيزيقية، التي جاءت على ألسنة المفكرين وأقلام الفلاسفة على اختلاف اتجاهاتهم، فكان لابد أن يوجد مثل هذا التصور أو الموقف الواقعي، لكي تستقيم الأمور في نظر البعض، أو لكي يحدث التوازن المنشود في ميزان الفكر كما يعتقد البعض الآخر"؛ (مصطفى، 1999، 45) هذا ما يفسر الرؤية الفلسفية للواقعية وقيمها الاجتماعية الإصلاحية وهي بالمعنى الواسع في الإنتاج الأدبي "محاولة نقل الواقع أو الطبيعة، بما فيها الإنسان وتصويرهما بدقة وأمانة، فهي كمذهب أدبي يسعى إلى تصوير الواقع وكشف أسرارها"؛ (خرماش، 2006، 05) كما أنها تعبر عنه وتحدد قضاياها، وتبحث عن أسبابه، وتظهر قدرة الكتاب على النفاذ إلى بنية المجتمع.

تسعى الواقعية إذا إلى وضع آراء ومقترحات تعالج مختلف القضايا الاجتماعية وقيِّم الروحية، أي إنها "تنزع إلى تصوير المشكلات الرئيسية للوجود الاجتماعي

والبشري في صورة مخلص للتحقيقة، وصداقة مع الواقع والإنسان بشكل نموذجي وفني" (مهران، 1979، 03)، بمعنى أنها تهدف إلى تصوير الواقع بطريقة موضوعية بعيدة عن مشاعر الكاتب، لهذا السبب وصفت بأنها أصدق مرآة تنعكس فيها التحولات الاجتماعية، وتسجل مدى تطور المجتمعات واقعيًا وتاريخيًا، كما تفسر الأسباب والمسببات التي تحرك عجلة هذا التطور في جميع صوره، وتسجل أيضا التقلبات التي تحدث في مسار المجتمعات التي تحدث نتيجة تناقضات الأهداف، والصراعات المختلفة التي تولدها الشروط التاريخية، التي عادة تتداخل فيها الأيديولوجيات والقيم الفكرية والأخلاقية، مما يولد صراعا و/أو ثورات تغير مجرى الوضع القائم، أو تصححه، أو تلغيه تماما؛ فالواقعية بهذا المعنى سجل فني وجمالي لحركة المجتمع، ولنا أمثلة كثيرة في تاريخ آداب العصر الحديث التي تبنت، أو تأثرت بتيار الواقعية في الفن والأدب.

2- الخصائص الفنية للواقعية

انطلاقا من المبدأ الأساسي للواقعية المتمثل في ارتباطها بالواقع، بغض النظر عن الاتجاهات العديدة والمختلفة التي صاحبها منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر؛ فإن الأدب الواقعي لم يخرج عن خطه العام الهادف إلى تصوير الحياة الاجتماعية في جميع مستوياتها، تجسد هذا التصوير في أعمال كبار الكتاب الواقعيين، حيث اهتمت أعمالهم بتمثيل الطبقات الاجتماعية المختلفة في أوج صراعاتها، وعبرت عنها تعبيراً صادقا يكاد يكون مطابقا للتحقيقة المعيشة؛ وركز الواقعيون على معالجة أمراض المجتمع، من انحراف خلقي واجتماعي وتحليل ظواهره، بالقدر الذي تسمح به الأعمال الفنية؛ فالواقع الذي نتلقاه من خلال الصور التي يرسمها الكتاب في أعمالهم الأدبية، بخاصة الروائية، تستجيب للعديد مما يحيط بنا،

الذي يمثل جزءاً من ذاتنا التي ينعكس فيها الواقع الخارجي المادي، كما يرى الباحث ياسين الأيوبي حين قال واصفاً هذا التداخل بين الذات والواقع، مستشهداً بتفسير الكاتب جان جاك روسو مؤسس الواقعية في الأدب: "إنه الواقع الذي ينبثق من ذاتنا المتعاملة مع الواقع الخارجي المادي، فالرواسب الاجتماعية المتداخلة في ذاتنا سواء كانت بالوراثة أو بالاكْتساب، لا تخلو من نزاعات الشر الذي تختزنه الحياة الاجتماعية على حد تفسير جان جاك روسو" (الأيوبي، 1984، 314)؛ نستخلص من هذا القول أن نزعة الشر فطرة في الإنسان، وكأنها المحور النفسي الذي تدور حوله أحداث الحياة، إلى جانب جملة الأفعال والسلوك الذي يسير حياة الفرد داخل المجتمع، التي تكون عادة استجابة لرواسب اجتماعية اكتسبها الفرد و/أو الجماعة ن طريق الوراثة أو التعود والتقليد؛ مهما يكن مصدرها فإنها في الأخير تعطي دلالة للحياة الفعلية للإنسان، كما تحدد وجهة نظر الرائي، سواء أكان كاتباً أم قارئاً، تجاه هذا الواقع. يقودنا هذا المفهوم للواقعية إلى تحديد بعض من خصائصها الفنية، تمهيداً لتحليل روايتين واقعتين من أدبين مختلفين، هما رواية "الفلاح" لعبد الرحمن الشرقاوي من الأدب العربي، ورواية "الفلاحون" لأنطوان تشيخوف من الأدب الروسي.

بعد هذا التعريف المختصر للواقعية، بوصفها تياراً أدبياً هيمن على النتاج الأدبي العالمي منذ ظهوره في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، بحيث لم يبق منحصرًا في أوروبا فحسب بل انتشر انتشاراً سريعاً في العالم؛ امتد في البداية إلى أوروبا الشرقية بخاصة في روسيا والاتحاد السوفياتي فيما بعد، ثم انتقل إلى مختلف الآداب في آسيا والعالم العربي وأمريكا اللاتينية، نظراً لما يحمله من خصائص فنية وجمالية تساعد على التعبير بصدق على معاناة الشعوب،

بخاصة تلك التي تعاني من نير الاستعمار وطغيان الرأسمالية والإمبريالية فيما بعد، وبالتالي شجعت الواقعية في الفن والأدب على التحرر من قيد الأساليب الرومنتيكية التي كبلت مشاعر الكاتب، وجعلتهم يبررون - في بعض الحالات - واقع اجتماعي يسوده الظلم والاستبداد.

وبعد هذا التعريف المختصر، أحاول أن أعرض بعضاً من خصائص الواقعية، اعتماداً على كتاب عبد الرزاق الأصفر "المذاهب الأدبية لدى الغرب"، الذي لخصها في جملة من العناصر، نلخصها بدورنا فيما يلي:

2-1- الالتزام بالواقع الطبيعي والاجتماعي والانطلاق منه

يعد الالتزام من أهم مميزات الأدب الواقعي، والالتزام في تصور المنظرين للواقعية ونقادها يعني "ارتباط الإنسان بمحيطه وتفاعله وصراعه مع المحيط الطبيعي والاجتماعي، ومن هنا يستمد الكاتب موضوعاته وحوادثه، وأشخاصه وكل تفصيلاته، وتحليل ظواهره بهدف تصوير كل ما يحيط بالإنسان، سواء العوامل الداخلية أو الخارجية والانطلاق من سياقه الاجتماعي" (الأصفر، 1999، 138)؛ بمعنى أن العلاقة بين الفرد والمجتمع علاقة حتمية، يجسدها الكاتب بوصفها وسيطاً ضمن شكلاً من أشكال التعبير الأدبي، الذي هو عادة الرواية التي تجمع بين الأديب ومجتمعه وقضاياه، بما ذلك حياة الأفراد والجماعات. فالالتزام إذا، يدعو الكاتب إلى نقل الأحداث الاجتماعية وتصويرها، وكذا مختلف المشكلات التي تعرقل المسار الطبيعي للمجتمع، كما أنه -الالتزام- يفرض على الأديب "تصوير الواقع الاجتماعي، وذلك لقدرته على التجسيد الموضوعي وسعيه دوماً إلى الالتحام بالواقع، لتصوير القضايا المتصارعة، واهتمام الروائي بتجسيد الأزمات والصراعات الإيديولوجية،

النابعة من رؤيته لهذا الواقع". لا يمكن أن يلم الأديب بكل هذه القضايا إن لم يستمدّها من الواقع، ويحولها إلى موضوعات أدبية تتجسد في عوالم خيالية تتحرك عناصرها وفق رؤية فكرية و/أو أيديولوجية معينة، ومن ثم يصور قضايا شعبه ذات الطابع الاجتماعي والسياسي إذا هناك مسؤولية اجتماعية ملقاة على عاتق الأديب الملتزم فيتأثر بحياة الشعب، وتؤثر فيه، لأنه ناقل رسالة اجتماعية، ومشكلات الأديب لا تنفصل عن مشكلات مجتمعه.

تعد رواية "الفلاحون" للكاتب الروسي أنطون تشيخوف نموذجا لهذا الترابط بين الكاتب والمجتمع، حيث اهتم اهتماما خاصا في روايته بالحياة اليومية للفلاحين الروس في الحقبة القيصرية، وتطرق إلى قضايا ترتبط بمجتمعه وبطبقاته على اختلاف أصنافها؛ من طبقات فقيرة مسحوقة متمثلة في الفلاحين والفقراء، وطبقات نبيلة ثرية مسيطرة من ملاك ورجال السلطة وإقطاعيين، فمن مجتمعه انطلق ولأجله يكتب.

فجاءت روايته نموذجا للواقعية بمعناها الجمالي، حيث صورت الواقع الاجتماعي والسياسي وقت روسيا الإقطاعية، ومعاناة فقرائها في ظل القمع الممارس على الفلاحين البسطاء، كما صور الفقر والبؤس الذي يعيشه هؤلاء ونجد هذا الوصف للحالة العامة التي يعيشها سكان القرية في قوله: "كان الجو باردا نوعا ما، وصراخ الديكة يمنع النوم ولما بدأ ضوء الصباح الأزرق، يتخلل الثقوب الموجودة في جدران الكوخ، نهضت فيكلا بهدوء وخرجت وتردد وقع أقدامها الحافية وهي تجري إلى مكان غير معلوم" (تشيخوف، 1967، 20)، توحى العديد من الألفاظ المستخدمة في هذا الوصف بالحال التي يعيشها سكان القرية، صراخ الديكة، "الثقوب الموجودة في جدران الكوخ"، "أقدامها

الحافية"، "مكان غير معلوم" بمعاناة الفلاحين في بيئتهم الفقيرة والبؤس الذي يمزقهم.

صورت هذه الرواية واقع المجتمع الروسي، وهموم شعبه في فترة زمنية محددة تاريخيا، لها عواملها وأسبابها وجسدت واقعا بسلبياته وإيجابياته فالتزم الكاتب بتصوير الفلاح البسيط في الريف الذي يأمل في مستقبل أفضل، يسوده العدل والحرية، والتخلص من الإقطاع والأنظمة السياسية الفاسدة، والتخلص من قيود نظام القنانة المفروض وقتئذ، فكثيرا ما كانت شخوصه تنادي بالحرية "إن الحرية أفضل من عهد القنانة"، (تشيخوف، 1967، 51) كما جاء على لسان أحد الشخوص؛ فالحرية مطلب أساسي لدى شخوص الرواية، أملا في الخروج من دائرة الفقر والقمع، وكابوس الاستبداد والطبقية، وما إلى ذلك من العوامل التي تقف أمام الحياة السوية.

عبرت الرواية أيضا عن الواقع المأساوي الريفي بسوداوية كبيرة، نتيجة الواقع المظلم الذي كان يعيش في ظله الفلاحون في قرية "جوكا فو"، حيث أصبح فيها الفلاح عبدا للإقطاعية، ولكل أنواع الاستعباد والخنوع، ومن ثم جزأ الكاتب هذا الواقع ليعطي صورة صادقة لهذه المعاناة، مما يدل على التزامه بقضايا اجتماعية كثيرة عاشها مجتمعه منها: الفقر، المرض، الجوع، الظلم والاستبداد ويوحى هذا الالتزام بتبني الروائي قضايا سوسيولوجية تتعلق بمحاولات التغيير للخروج من مجتمع يسوده الظلم والاحتقار، من أجل حياة كريمة يسود فيها العدل والمساواة، والقضاء على سلطة الاستبداد والطبقية والاستغلال مما يستوجب تغييرات سياسية واقتصادية على مستوى المجتمع الروسي بأكمله.

تبرز واقعية تشيخوف والتزامه الفكري والفني في تحليل المجتمع الروسي من كل زواياه، وتكشف عن مظالمه الاجتماعية، وقيمه الهابطة؛ حاول —نتيجة

ذلك- تصوير الواقع على حقيقته، وبكل شفافية ووضوح ويرى الناقد سيد حامد النساج في كتابه "الرومنسية والواقعية"، أن رواية تشيخوف هذه "عكست مشكلات تبدو بسيطة للوهلة الأولى، لكنه تناولها على نحو دقيق يفتح الأعين على أغوار الحياة الحقيقية وصراع نقائضها، ولا يستمد أسلوب قوته ورونقه إلا من قوة الحق وجمال الصدق"؛ (النساج، د ت، 91) جاءت هذه الرواية بالفعل معبرة بصدق عن الواقع السوداوي المعيش، نتيجة المضايقة الطبقيّة التي يعيشها الناس والقبضة الحديدية التي تتحكم في تسيير المجتمع، بحيث تتحكم هذه السلطة الطبقيّة في كل مظاهر الحياة، وتتجاوز نفوذها الحياة العامة للناس، لتشمل السلوك الفردي للإنسان جراء التحكم في القوى الاقتصادية، وفي جميع المؤسسات التي تتحكم في حركية المجتمع.

أما إذا انتقلنا إلى رواية عبد الرحمن الشرقاوي "الفلاح" فإننا نجده قد اهتم بتسجيل الواقع المظلم الذي ولده الصراع الطبقي في المجتمع المصري وتندد الرواية بأخلاقيات الطبقة الإقطاعية بكشف عيوبها ونواياها الاستغلالية البشعة، كما حاول الكاتب من خلال تصوير عالم الرواية أن يحرر الفلاح، ويفك قيوده ليثور على الإقطاع والبورجوازية، هذا على مستوى المضمون، أما على مستوى الجانب الفني الاجتماعي، فقد اهتم الروائي بوصف حياة الريف، والاتجاه إلى المباشرة في التصوير هذا ما ربط بين الأحداث والفكرة العامة المهيمنة في العمل كله وتتجلى هذه العلاقة في صورة الفلاح وهو يصارع الظلم والاستبداد في مجتمع ما قبل الثورة، سعياً إلى تحقيق مجتمع ما بعد هذه الثورة، مجتمع الاشتراكية والإصلاح الزراعي، فوصف الإقطاعيين الذين تسلبوا إلى مناصب قيادية في القرية واستغلّاهم للفلاح، وأخذهم قريته وحرمانه من حقوقه، ومدى قسوتهم

على هذه الشريحة الهشة في المجتمع، كما صور الطبقة الكادحة العاملة المهضومة الحقوق. والمتتبع لأحداث الرواية يرى أن الكاتب اهتم في تصويره بهوموم الفلاحين والصراع الطبقي المتواصل الموجود في المجتمع المصري، المتمثل في الإقطاعية التي تدافع عن وجودها الاقتصادي والاجتماعي، وطبقة الفلاحين الصاعدة لتكرس نفوذها، لأنها طبقة المستقبل؛ فعالم الفلاح الذي التزم به الشرقاوي وصوره، محكوم برؤية تاريخية سياسية طبقية واضحة، يتجلى ذلك من خلال الشخصية الرئيسية في الرواية التي نموذج المثقف الريفي، الملتزم بقيم المجتمع الاشتراكي، والمناضل من أجل ترسيخها وتأكيدّها، هو مدير مدرسة ابتدائية في القرية، وعضو الجمعية التعاونية، كما أنه ابن فلاح لا أرض له، وهو الذي يتزعم فيما بعد كل الأحداث التي جرت في القرية، مصارعاً "رزق بيه" الإقطاعي، الذي "أراد مخالفة قوانين الإصلاح الزراعي مع بعض الموظفين، وقد استطاع أن يصل إلى مركز النفوذ في القرية" (الشرقاوي، د ت)، (81) فهو بذلك يمثل السلطة الحاكمة، والجشع الاستغلالي البرجوازي.

عكس عبد الرحمن الشرقاوي الصراع الطبقي والفكري الموجود في المجتمع ، من خلال النماذج التي شخصها وجعلها تتحرك وتفاعل لتعطي صورة هي أقرب إلى الواقع منها إلى عالم الخيال؛ فجسدت هذه النماذج الانتماء الطبقي ، من خلال حركاتهم التي تخضع لمصلحة اجتماعية أو سياسية، وقد ظهر ذلك في قول أحد شخصوه: "قلت يا سيادة الوزير أنا فلانة، وجاية اشتكي من مشرف الإصلاح الزراعي...ليه الظلم كفاية ظلم السنين الي فات". (الشرقاوي، د ت)، (109) يتضح هذا الظلم في مقاطع عديدة من الرواية، مقاطع مُشبعة بالقمع والاضطهاد، الذي مارسه السلطة ومؤسساتها ودوائرها البيروقراطية ، كما جسدت

الرواية أيضا القهر السياسي والاجتماعي بشتى صوره ومظاهره، حيث شددت الرواية على تصوير مجتمع يعاني من الفقر والجوع والظلم والتمييز ونهب أراضيه لمحو أهم أثر يرمز للهوية الوطنية ، فيقول أحد شخوص الرواية معبرا عن هذا الوضع المأساوي الذي لا يطاق: "هنا في قريتي ي صلب سالم وتأكّل السياط جلده، وكبرياؤه ويمزق جسده بالحديد" (الشرقاوي، د ت)، (68) هذا وصف لمشهد يتكرر كثيرا في عالم الرواية، مما يعني بأن الكادحين يعيشون تحت ضغط وتسيّد سلطة تعيش من عرقهم وفي أبدانهم المنهكة. يتضح مما سبق أن الروائي الكبير عبد الرحمن الشرقاوي قد التزم في هذه الرواية بواقع مجتمعه، مما يجعل هذه الرواية في خانة الأدب الملتزم، بوصف الالتزام، كما يراه الناقد جميل ناصف التكريتي "انعكاس للواقع الموضوعي، وهذا يعني أن رسالة الفن، وقدرته على إعادة خلق حقيقي للحياة وتقديم تصوير صادق للواقع؛" (التكريتي، 1990، 319) والشيء نفسه يمكن ان نقوله عن رواية "الفلاحون" لـ تشيخوف مما يدل دلالة واضحة بأن الأدبيين قد تأثروا بمبادئ الواقعية، والتزما بتجسيدها في أدبهما، من خلال هذين النموذجين، مما جعلهما (الروائيتين) تُحلّان وتُدرسان في ضوء الخصائص الفنية التي تميز الأدب الواقعي بعامّة.

2-2- واقعية اللغة

إن ربط العمل الروائي بالغة أمر محتوم لا مفر منه، نظرا للأهمية الكبيرة التي تحتلها في الإبداع الأدبي، بوصفها الأداة التي يقوم المبدع بإعادة صهر العواطف والتجارب الإنسانية من خلالها، وتحريك هذه العواطف والتجارب في فضاء لغوي تخيلي يهدف إبراز المغزى والجوهر الذي يريجه الكاتب؛ فالرواية فن اللغة بامتياز، فهي المادة الخام التي ينطلق منها البناء المعماري للرواية، وترى الباحثة فائزة عثمان بأن اللغة

وسيلة أساسية للتعبير عن الأفكار، وهي مكون رئيسي لهيكل النص الروائي، بوصفها "همزة وصل بين الكاتب والمتلقي، وعن طريقهما يسمع الكاتب صوته ويبث أفكاره"، (عثمان، 2015-2016، 108) لا يختلف اثنان على أن اللغة وسيلة أساسية وضرورية لرسم معالم أي فضاء تتحرك فيه شخصيات، كما هو الشأن بالنسبة لفن الرواية التي تعد الوعاء الذي يصب فيه الكاتب أفكاره.

وبما أن الواقعية تستقي موضوعاتها من الواقع الفعلي، فإن اللغة التي يكتب بها الأدب الواقعي، تكون أقرب للغته اليومية فتحتوي على صور من حياة الناس في المجتمع، وعلى صوره من لهجاتهم وأصواتهم وحواراتهم وأمثالهم الشعبية فتعكس بذلك الواقع " (دراج، 1981، 39) لأنها تستطيع ترجمته، وترجمة الأفكار والرؤى التي يريد الكاتب تبليغها للقارئ بحيث لا يستطيع فعل ذلك إلا بواسطة اللغة فلا غرو إذا، أن تكون للغة الأهمية الكبرى باعتبارها أول ما ينهض به الكاتب في عمله.

فمن خلال رواية تشيخوف تبين لنا أن لغته واضحة مفهومة— على الرغم من نقلها إلى اللغة العربية- دقيقة مصورة لبيئة الفلاح وقريته، تعكس ظروفه المعيشية، فالتزم فيها البساطة في التعبير، بعيدا عن الإسفاف والزخرف اللفظي والتراكيب المعقدة، إنها لغة موضوعية خالية من الغموض، —كما يرى معظم نقاده- حيث نزل بلغته إلى الواقع معبرا بها عن حال الفلاحين البائسة المهمشة، بحيث نقلت هذه اللغة أو الأسلوب الكثير من الصور المعبرة عن حالهم وحال واقعهم، وعن تفاصيل الحياة الاجتماعية، فالسياق الاجتماعي للرواية —القرية —انعكس على شخوص روايته فجاءت لغتهم بعيدة عن التصنع والتكثيف والإيحاء والأفقية متبينة الجمل القصيرة والطويلة، فالقارئ يحس بذلك التجانس القائم بين

البيئة ولغة من يقطنها، إضافة إلى المستوى الثقافي لشخص الرواية، فمن غير المنطقي أن تكون شخصه غير متعلمة وغير مثقفة، تجهل القراءة والكتابة، يعتمد لها لغة راقية فجاءت لغته بسيطة سهلة، مستمدة معجمها من فضاء الرواية، فضاء الريف الروسي، مزوجا في روايته ألفاظا خشنة للدلالة على خشونة وقساوة الطبيعة مثل قوله: "نجد المروج الواسعة عليها القطعان وطواير ثم يرتفع التل". (تشيخوف، 1967، 14) و الألفاظ الرقيقة العذبة، التي تناسب والبيئة المدنية الحضارية، متكئا في وصفها على الجمل القصيرة، مستندا على الجمل الطويلة لما تقتضيه الأحداث السردية، مثل "نظرت ماريا إلى السماء محملقة قالت انظري إلى السماء دون أن يهتز لك جفن وسترين الملائكة". (تشيخوف، 1967، 31) لقد بنى الكاتب روايته على الحوار المتنوع الداخلي والخارجي الذي اقتضى الأساليب السردية القصيرة والطويلة المستندة على التصوير والوصف للبيئة التي كانت قلب الأحداث، واللغة المطواعة للبيئة الجامعة بين السرد والحوار والوصف الموصولة بالحبكة المسيرة لجسر الأحداث وطبيعتها.

إن السارد اعتمد على الفصحى الوسطى المقربة من أوساط المثقفين، والتي يمكن نعتها بتلك الفصحى التي لا ترتقي بشخصها إلى الأفق اللغوي إلى حد التكلف أو الزخرف اللغوي، ولا تتدنى إلى الركافة أو العامية، المبذولة، فحتى الحوار الذي جرى بين الشخصيات البسيطة ذات المستوى الثقافي البسيط، لم يجر بالعامية إلا ما ورد منه، فهو قليل منه، "قالت ساشا مهدئة معلمش، معلمش يا صغيرتي". (تشيخوف، 1967، 33) فهذا التركيب يدل على بساطة السياق والشخص.

فعبرت لغته الفصحى بصدق في عن مشاعره وأفكاره البسيطة، وواقعه المعاش فلم يستطع أن

ينسلخ من البيئة البسيطة التي ألزمتها التماشي ولغة تتوافق مع ثقافتهم ومستواهم وهذا أسند الروائي لشخصياته اللغة التي تتماشى مع ثقافتهم، والوظيفة التي اكتسبها من واقعه، وبهذا امتازت لغته بأسلوبها السهل النقي الواضح وقد يحدث أحيانا أن يستخدم بعض العبارات العامة، أو الأمثال الشعبية، حتى يتأكد لنا ذلك محافظا على فصاحة الرواية ونقاوتها، واعتمد ذلك للتعبير عن واقع وعرض تفاصيله، وشرائحه ودقائق الحياة الريفية وفي مجتمعه.

أما إذا انتقلنا إلى لغة رواية الشرقاوي، فنقول إنه استطاع أن يسقط اللغة كل حسب شخصه ومنحها خصوصية وعقلانية مصطبغة بها إذ تجول في مسبح واحد وهو الاختلاط اللغوي الذي اقتضاه البناء الفني للرواية "إن أهمية التنوع اللغوي تتجسد في تحرير النص الأدبي من سلطة اللغة الواحدة نير الرواية الواحدة إضافة إلى ذلك فهو يفسح مجال محاوره اللغات بعضها بعض من جهة وتحطيم صورة النموذج من جهة أخرى". (باختين، 1987، 32) فالشوقاوي اعتمد حوارية الخطاب الذي استلزمته روايته المتعددة الشخص، فاستنطق شخصه حسب المنطقة الجغرافية، فجاءت لغة كل شخصية تناسب أسلوب حياتها ومستواها العلمي والثقافي ليكسب عمله موضوعية ما يقربه من واقعية اللغة أكثر، فبتحرره من التقاليد اللغوية وعدم اعتماده لغة واحدة يكون بذلك قد انفتح على المستويات اللغوية المختلفة، فامتازت روايته بالتنوع والتعدد اللغوي، الذي شكل سمة من سمات الواقعية من خلال الخروج عن نمطية اللغة، واختلاف مستوياته في الرواية، فوظف العامية -اللهجة المصرية- فيكون بذلك قد حرر شخصه من ثقل اللغة وجماليتها، فهو يلتزم على سبيل المثال لشخصية "رزق" الفلاح ابن الأرض القرية، فهو شخصية غير مثقفة وغير متعلمة وليس له أي

اطلاع بالعلم، ولم يعيش إلا في القرية، فالتزم له الروائي لهجة عامية (مصرية) انطلاقاً من مستواه الثقافي، نزولاً بذلك إلى واقع الريف المصري، فمن غير المنطقي أن شخصية غير متعلمة تتخذ لها في الرواية لغة فصحي في حواراتها الداخلية والخارجية، ويكون الروائي بذلك اعتمد على واقعية اللغة، ونزولاً بها إلى الواقع من أجل تصويره، وتصوير الحياة البسيطة لشخصه، وقد جاءت لهجة رزق في الرواية كثيرة منها "ومركبك فدائين من أرض الإصلاح غش يا توفيق يا بن حسين خلي الطابق مستور ومشتغل" (الشرقاوي، (د ت)، 30) فشخص رايته كثيراً ما كانت تلتزم باللهجة المصرية أو العامية لديهم، المعبرة والمصورة للريف المصري، وعن أوضاعه الاجتماعية والسياسية والإقطاعية، معتمدة على الجمل القصيرة، التي اقتضاها مقام الحوار وعلى الجمل الطويلة منها: "رزق بيه هناك... أيوه سببهم مع أبوي، إزاي سيدنا الشيخ..." (الشرقاوي، (د ت)، 36)، والنص مليء بالأ مثله التي تدل على ذلك المؤكدة على طول الجمل أو قصرها حسب ما اقتضاه المقام.

كما اعتمد الروائي اللغة الفصحى في ثنايا الرواية، وكان لها حضورها الفاعل في تكوين بنية اللغة السردية، بحيث يلاحظ القارئ كيفية توزيع هذه اللغة توزيعاً ينسجم مع مكونات الخطاب المختلفة، ففي حوار الشخصيات المثقفة والأكاديمية اعتمد اللغة الفصحى، استخدم لغة أدبية فاخرة و بليغة، وفق المستوى الثقافي للشخصية ومقامها الاجتماعي؛ ف"عبد العظيم" المتعلم في القاهرة التزم له لغة فصحي، لكونه شخص متعلم، وفي ذلك يقول: "ماذا أقول لك ودوامه الحياة في القاهرة، تأخذنا وغول رهيب يقتات الوقت ويلتهبه ونصبح فجأة فإذا الشهر قد مر" . (الشرقاوي، (د ت)، 06) استطاع السارد أن يلتزم بهذا الأصل، المتمثل في واقعية اللغة؛ فالشخصية المتعلمة والقادرة

على الكتابة والقراءة اختار لها لغة مناسبة لمقامها العلمي ومكانتها الاجتماعية و نجده في مواقع عديدة يزوج بين الفصحى والعامية وفق ما يتطلبه الموقف ويوزعها على مساحة الرواية بحسب المشاهد والصور والأحداث، مما يعطي الطابع الواقعي لعالم الرواية ككل.

ومن ثم فإن النص الأدبي عموماً والروائي على وجه الخصوص "أصبح نصاً حوارياً مهجناً تتعدد فيه اللغات والأساليب والأصوات والرؤى الأيديولوجية والمفوضات اللسانية التي تعكس تنوعاً واقعياً، واجتماعياً وطبقياً". (حمداوي، د.ت، 38) ومن خلال روايته فإن لغة الشرقاوي تعد لغة هجينة بخلاف اللغة الواحدة أو الأحادية الصوت إذ انطلق من مجتمعه الذي يضم مجموعة أفراد تنتهي لطبقات متنوعة، يتفرع عنها لهجات ولغات طبقية وعامية منها لغة الطلبة والأسياد والأغنياء والفقراء والفلاحين والسياسيين، فالتهجين اللغوي المتوافر في الرواية استوجبت شخصيات الرواية الذي منح للغة الشرقاوي خصوصية متفردة وانعكاسها داخل روايته، وصيغها بهذه الخصوصية، فتعدده اللغوي والتداخل اللغوي كانا ضروريين من ناحية البناء الفني للرواية، لأن روايته تتضمن مجموعة من الشخصيات التي تختلف مناطقهم الجغرافية، كما تختلف مستوياتهم العلمية والثقافية، وبالتالي اضطر الكاتب إلى إنطاق الشخصية باللغة التي تناسب منحدرها الجغرافي، ومستواها العلمي، ليضفي على عمله مصداقية، ويكسبه من الموضوعية ما يقربه من الواقعية أكثر. فلا يمكن تصور خطاب المعلم في نفس مستوى خطاب الفلاح أو العكس، فكل منهما مميز بمرجعياته الفكرية والجغرافية والدينية فالمعلم أعطاه خطابه المناسب له، ولانتمائه المتنوع والفلاح كذلك وهذا يدل على شغف وكشف توق الشرقاوي إلى المغايرة والتنوع

والبحث عن لغة حديث ة ، وحبه للجديد والمعاصرة ويكون بذلك تجاوز النمطية اللغوية التقليدية، وانفتح على العديد من الأصوات اللغوية في روايته فاستطاع أن يأقلم العامية والفصحى، بشكل مصاحب وسلس، وبحسه اللغوي يحقق هذا المسعى باعتماده الفصحى بنقائها وتعاليمها، وإخضاعه ا لعامية إلى نوع من التفصيل، فتجاوبت العامية مع الفصحى في لغة واحدة كأنهما وجهان لعملة واحدة فتعددت المستويات اللغوية، ومدا للرواية فضاءات متنوعة، وشغف أكثر للأحداث كما أعطاه قراء محلية وعالمية، وتجلى هذا المزج مثلا، في التركيب الآتي : "واصف وجهه، وزاغت عيناه، وعندما أعددت السؤال انفجر إنت بتسأل ليه"، (الشرقاوي، د ت)، (104) فاعتمد الروائي ذلك التداخل اللغوي نظرا لتنوع شخوص روايته وأمكنها.

2-3- واقعية الشخصيات

تحتل الشخصية المكان الأبرز والأهم في بنية الخطاب الروائي حيث تعتمد عليها جميع عناصر الرواية لأنها صانعة الصراع والأحداث في الواقع، "والشخصية الواقعية ترتبط بالواقع وتمتزج في الوقت ذاته بالصورة الفنية التي يقيمها الأديب ليصبح الروائي في هذه الحالة كالمؤرخ ينتظر قراء لروايته ليطلعوا فيها على حياة الآخرين، ومشاكلهم لأنهم يرون فيه صورة عن حياتهم". (معتوق، 1994، 16) فالمبدع يستلهم ما يدور في واقعه ويأخذ من الماضي أو الحاضر أحداثا وقعت أو شخصيات عاشت ذلك الواقع، ويصوغها بأسلوبه الفني وخياله الأدبي ليؤثر في المتلقي الذي يحس ويشعر بهذا الواقع، "إذ أن النص الإبداعي يكشف الكاتب شخصيات وأبطاله في ترابط وثيق مع الوسط الاجتماعي الذي رآهم، وأنشأهم، وفي هذا قوة للواقعية"، فالشخصية تعد ركيزة الروائي الأساسية في الكشف عن أحداث الرواية، ولا يتم العمل الروائي إلا

بها وعليه فالشخصية، إلى جانب المكونات السردية الأخرى، أساس الأعمال الروائية.

والشخصية بمفهومها العام هي نتاج البيئة، البيئة الزمانية والمكانية والثقافية" فالشخصية لها خصائصها المميزة وفي الوقت نفسه لها بعض الخصائص النموذجية، "فالروائي يستعين بتقنيات للإيهام بواقعية الشخصيات لوصف مظاهرها الداخلية والخارجية، ثم لغة شخصيات تتطابق مع ثقافتها، ومن ميزات الرواية الحاضرة البراعة في التشخيص بحيث تمكنت من خلق الشخصيات الحية النموذجية المنطلقة من صميم الواقع والحياة الواقعية". (مجلة مريم أكبري موسى أبادي، 2021، 07) فالكاتب الواقعي يصف الشخصية بكل تفاصيلها ليرسم صورة دقيقة للحياة حتى تسمح للقارئ أن يلاحظ ويكشف الشخصية وأفكارها، ويؤدي ذلك إلى الإيهام بالواقعية، ويحس بأنها شخصيات واقعية وتفسير ذلك أنها من صميم الحياة بكل مشاعرها واهتماماتها وتفصيلها الجسدية والفكرية، ووصف الشخصيات بالتفصيل لكي يوهم القارئ بالواقعية، كما نجد أن لكل شخصية لغة تناسب أسلوب حياتها وطريقة تفكيرها فهي تتفاعل مع مجموع عوامل الواقع المعيش والتركيب الداخلي للإنسان، ومكونات واقعه النفسي، وبالتالي فإن الشخصية الروائية إنما هي نموذج يحاول الكاتب الروائي أن يخلق شكلا من أشكال التوافق والانسجام، مع مثيلاتها في الواقع المعيش "ولاشك في أن هذا الواقع يؤثر ويتأثر به الإنسان وما هو إلا تعبير عن ذاته وأشياءه في أوساط جماعة، يحمل من خلاله كلاما ليتحول بدوره إلى الكتابة للتعبير عن الواقع". (مرشد، 1994، 99) فالمبدع يستلهم ما يدور في واقعه ويأخذ من الماضي والحاضر أحداثا وقعت أو شخصيات عاشت تلك الأحداث، ثم يصوغ كل ذلك بأسلوبه الفني والخيالي

عبر لسان شخصياته المتصلة بمحيطها الحيوي ليؤثر في المتلقي حتى يحس ويشعر بهذا الواقع.

وإذا تحدثنا عن شخوص رواية تشيخوف، نجده قد اختار شخصياته الروائية من واقع التأزم والمعاناة، والتشرد والنضال، التي عاش في كنفها الفلاح الروسي، فانعكس ذلك كله على فكره وسلوكه ومثالياته

الحديثة، بل على نظرته تجاه واقعه الحياتي الآني،

وتطلعاته الحياتية المستقبلية، لقد فرض الواقع

الروسي وأنظمتها السياسية والاجتماعية على ثقافة

الروائي، وانعكس ذلك بشكل حتمي بالتناول والمعالجة

وطرح نماذج لشخصيات تعكس الواقع بدقة

ومصدقية، فجاءت شخوص روايته مترجمة لواقع

حال الشعب الروسي، والفلاحين في مراحل معاناتهم،

ومأساوية حياتهم، ونلاحظ ذلك مع شخصية "نيكولاي"

الذي مثل الشخصية اليايسة من الحياة، بسبب تغلب

المرض عليه، فجسد في الرواية ظاهرتي الفقر والجوع،

كما يتضح في هذا المقطع الذي يصف حاله: "إذ كان

يتعذب من الصراع والجوع والحروالروائح الكريهة"

(تشيخوف، 1967، 21)؛ لا تخص هذه الحال هذه

الشخصية فحسب، وإنما هي ظاهرة كثيرا ما عانى منها

الفلاح الفقير، الذي يعيش في صراع بشكل دائم معها.

إذا انتقلنا إلى الشخوص الأخرى، التي صورت

بصدق وأمانه تلك المرحلة ، فنجد ذلك مع "أولجا"

الخادمة في فندق لأنها لا تجد القراءة والكتابة، مؤمنة

بما جاء في الإنجيل، كثيرا ما كانت تعاني من صراعات

نفسية، تحاول بذلك تجاوز الوضع المتأزم، الذي

تعيشه، فـ"أولجا" صورت واقع الحياة وجسدت

ملامحها، حياة شعب يعاني ويتألم ويواجه بصمت وألم

أشكال العنف والقهر والفقر على امتداد رقعة الريف

الروسي، فتصور الرواية هذه المعاناة من خلال الصراع

النفسي والحيرة الحياتية، اللتان تسمان معظم

شخصيات الرواية، كما نجد بعض شخوص الرواية

ناقلة بأمانة وصدق وموضوعية ، أشكال من النظام على الصعيد الفكري، منها "ماريا" الشخصية المؤمنة المتشعبة بالدين المتحررة الحاملة بغد أفضل، يسود فيه العدل الاجتماعي والطمأنينة. ونذهب مع شخصية العمدة "سيد يلينكوف" الذي نجده يجسد مجموعة من الدلالات النابعة من الواقع الروسي من إقطاع، واستغلال، واضطهاد، وظلم كل ذلك ضمن سوداوية الواقع وقساوته على شريحة الفقراء والفلاحين.

بناء على هذه الصفات التي تميز شخصيات رواية"

الفلاحون" نستخلص بأنها تعكس بصدق كبير وأمانة

الواقع السياسي والاجتماعي المعيش آنذاك، على الرغم

من تناقص أدوارها في ما ذكرنا سابقا، إلا أنها جاءت

لتعطي لوحة أمينة وشاملة وصادقة عن الواقع الآني،

ورسمت ملامح المرحلة السياسية والاجتماعية القاسية

المفروضة وقتئذ، فأصبحت بهذا نماذج لشخصيات

تحمل دلالات تتسع دائرتها، لتشمل شرائح من الشعب

برمته، فرواية تشيخوف ترصد نماذج لشخصيات

واقعية، استطاع المؤلف من خلال رؤيته الشاملة

العميقة عبر دلالات هذه الشخصيات ، أن يضع القارئ

أمام لوحة واقعية اجتماعية، سياسية واقتصادية

دقيقة.

أما إذا انتقلنا إلى شخوص رواية "الشرقاوي"،

فنجدها تجسد قيم الريف المصري، في بساطته

وبدويته، مجسدة أيضا ملامح الثورة، والصراع بين

الطبقة الكادحة وظلم كبار رجال الدولة، كما صورت

قيم الانتماء من خلال تمسكها بأرضها، فهذا "عبد

المقصود" رجل ينتمي إلى عائلة لا تملك أرضا، كان أبوه

مجرد عامل، والشيخ "طلبة" لا يملك أرضا أيضا، في

حين يبدو "عبد العظيم" فلاحا مالكا ورث أرضه من

جده؛ نفهم من خلال هذه الحالات أن علاقة

الشخوص بالأرض علاقة تاريخية طويلة، ومن ثم

ارتبط فعل الانتماء والتمسك بالأرض انطلاقا من

موقع الشخصية، ولعلنا نجد ذلك متجسدا مع "عبد العظيم" العائد من باريس، بعد غياب طويل، لكنه في الأخير نجده يعود إلى قريته لتعلقه بها، وتمسكه بقيمة الانتماء، ويمثل أيضا قضية النضال والتحرر من الإقطاع، الذي يتضح من خلال دفاعه عن قريته وتصديه لأطماع الإقطاع بوسائل مختلفة، منها ما تعلمه في باريس، مما يجعله شخصية إيجابية فاعلة على صعيد الواقع الاجتماعي والثقافي، كما أنها شخصية نضالية.

كما ظهرت شخصيات بعيدة عن الإحساس بالقضية أو الاقتناع بحتمية أداء دورها، من أجل استرداد الأرض، فصورت الرواية هذا النموذج من الشخصيات السلبية الساكنة المظلومة الخنوعة، الواضعية بواقعها المأساوي، خائفة من مجرد التفكير في أداء دورها التعبيري مثل "سالم" الذي عكس بوضوح هذا النموذج. في حين، على عكس ذلك، نتوقف مع شخصية "إنصاف" المرأة المدافعة عن حقوقها وحقوق قريتها، بنقل شكواهم إلى السلطات المعنية في المدينة، هذا من جانب، ومن جانب آخر فقد مثلت المرأة الريفية المنهرة بشوارع المدينة، وطريقة اللباس والمعيشة، فهي بذلك تجسد رمزية الطبقة بين الريف المصري والقاهرة آنذاك، ونبقى مع جنس الأنثى الذي لعب دور النضال والثورة، إما على السلطة الفاسدة وأنظمتها، كما رأينا مع "إنصاف"، أو الثورة على تقاليد وعادات المجتمع، وتستوقفنا هنا زوجة "رزق" التي تحلم أن تصل إلى أفق القراءة والكتابة، هي رمز للصراع بين الجهل والعلم، لأن زوجها كثيرا ما يثور عليها، بسبب توددها على الجامعة، وفي هذه التردد يرى بأن القصد ليس علميا، بل، كما هو يهدف اللهو (الشرقاوي، د ت)، (74) مما يدل على أنه يمثل التفكير الرجعي، السطحي المنحرف، وإذا توقفنا عند "رزق" نجده يمثل بكل واقعية وموضوعية الشخصية

المتسلطة الإقطاعية، فنراه يأخذ من المعدمين أموالا بعقود إيجار غير صحيحة، إذ معه تسقط قيمة الحق والعدل، كما يتضح من هذا المقطع السردي الذي يفضح سلوكه "بامتلاكه واستغلاله آلات الجمعية في خدمة أرضه، ويوقع الفلاحين الفقراء أمثال "سالم على أنها عملت في أراضيهم فيحاسبون وتقنط تلك الساعات من أموالهم" (الشرقاوي، د ت)، (64)، إنه نموذج الشخصية الانتهازية، التي تفرض سلطتها على المستضعفين، ف"رزق" شخصية سلبية في نظر مبادئ الواقعية، شخصية منبوذة تحاربها كل القوى المؤمنة بالعدالة الاجتماعية، المحاربة لجميع أشكال المتسلط، والاستهانة بالضعفاء الذين يتعرضون للتعذيب والاضطهاد من قبل القوى الإقطاع التي تستغل عرقهم وأبدانهم لتحقيق نزواتهم ورغباتهم التي تناقض الحس الإنساني الذي تدعو إليه الواقعية فكريا وأدبيا. يتضح هذا المنحى الواقعي في ربط الكاتب شخوصه بالواقع المعيش في مستوياته المختلفة الوجداني، الاقتصادي والثقافي، فحسدت الرواية بأمانة وصدق كل هذا في تلاحم الشخصيات على مستوى الإحساس كما على مستوى لغة الخطاب، وعلى مستوى التفكير، مما يصنف رواية "الفلاح" لـ عبد الرحمن الشرقاوي ضمن الأدب الواقعي بامتياز، بحيث أضفى عليها الكاتب طابعا واقعيا أسهم في فعالية أحداثها وحيوية شخوصها وتجلت الخلفية الفكرية المنتمية للفلسفة الواقعية من خلال واقعية المكان - الأرض - التي تدل على الارتباط الكامل بين الإنسان وأرضه، أي أن الأرض ترمز للانتماء والهوية، على الرغم من التمزق النفسي والاجتماعي الذي صورته الرواية، وعكست تناقضات المجتمع وسط غياهب الضياع والإقطاع التي عاشها شعب برمته.

4-4-الحياة

واقعه وعرض انفعالاته النفسية و تبرز من خلال هذه المناجاة براعة الكاتب ، الذي يبدولنا في الرواية حياديا، بعيدا عن كل ما يجري من أحداث ، لكن براعته تكمن في أنه استطاع أن يقود القارئ إلى موقف ما، فهو يأمر أو ينهي، ولكنه يضع القارئ في الرواية في موقف ما، إما موقف رفض أو قبول.

هذا ما حدث في الرواية، فنجد القارئ يتعاطف مع بعض الشخصيات ويرفض بعضها الآخر حسب طبيعة الشخصية، والظروف المحيطة بها وطريقة تفكيرها ففي الرواية نجد أنفسنا -بوصفنا قراء ن تعاطف مع "نيكولاي" الذي أنهكه المرض وسحقه الفقر، وعائلته التي تعيش في حرمان وبؤس والتي أهلكها الفاقة والمسغبة، نميل أيضا إلى "ماريا" التي لطالما عنفها زوجها "كرياك" من جراء سكره ومعاقرة الخمر و نتعاطف أيضا مع المرأة العجوز المسنة المنحنية الظهر، التي أهلكها العمل الدؤوب على عائلتها، والتفكير الشارد دوما على قوت عائلتها وقوتها اليومي، التي تحتار مما تكسبه و نتعاطف أيضا مع العجوز، بالرغم من أنه سكير، غير مهتم بعائلته وحاجياتها كرب بيت، إلا أن الحاجة تجعلنا نتعاطف معه نظرا للحقيقة البائسة التي دفعته لذلك، تجعلنا نميل ونحس تجاهه بالشفقة، لأن هذا العجوز عادة ما يتلقى سبابا وشتائم من قبل زوجته العجوز وجيرانه.

الأمر نفسه مع "كرياك" رغم أنه معاقر للخمر، يبيع جل ما يملكه من أجل احتسائه الخمرة، حتى لباسه وحذائه وينفق مال القرية أيضا، فيضطر إلى قرض اللؤلؤ من نساء القرية لتسديد ديونه، إلا أننا نتعاطف مع هذا، الرجل الذي قست عليه الظروف الاجتماعية، فأصبح شخصا هاربا من الواقع، و تهالك "كرياك" على الخمرة كان أسلوبا يتحدى به منغصات الحياة. كل هذه الظروف التي عاشها "كرياك" تجعلنا نتعاطف معه ونرأف لحاله، في حين أننا نحس ونشعر

يقصد بحياديه المؤلف "العرض والتحليل وفق واقع الشخصية، وطبيعة الأمور وبشكل موضوعي، لا وفق معتقدات الكاتب ومواقفه السياسية، أو الدينية أو المزاجية، أو الفكرية أو القيمية" (الأصفر، 1999، 102)، فالكاتب الواقعي شاهد أمين ، يدلي بشهادته حسب منطق الأحداث ، ومبدأ السببية والضرورة الحتمية، ولا يعني هذا أنه يريد أن يفرض رأيه وميوله على القارئ؛ فالحياد تقديم النص بموضوعية، حيث يختفي دور الكاتب بالابتعاد عن المداخلات والتفسيرات غير المجدية في عمله، فالنص الواقعي موضوعي غير ذاتي، يدعو إلى تسجيل الملاحظات والمشاهدات، من غير أن يلونها الأديب بأحاسيسه وعواطفه الخاصة.

مهما يبدو الكاتب الواقعي حياديا ، إلا أنه ببراعة أسلوبه، وقدرته على التحكم في تقنيات السرد، يشرك القارئ في رؤيته، بل ويدعوه إلى اتخاذ موقف، يقول في هذا الصدد الناقد عبد الرزاق الأصفر في كتابه الهام "المذاهب الأدبية لدى العرب، أن الكاتب " يقود القارئ إلى موقف بحسب القوانين السيكلوجية، في المؤثرات وردود الأفعال، فالقصة تغدو مؤثرا يستثير عفويا، موقفا من القارئ نفسيا أو سلوكيا" (الأصفر، 1999، 142)؛ فالكاتب لا يأمر ولا ينهي، لكنه يضع القارئ في موقف رفض أو قبول، فينتهي من تلقاء ذاته، ويثير إعجابه بأمر إيجابي، فيقبل عليه ويخلق عنده نوعا من التعاطف مع النموذج البشري ، ولا يخاطب الكاتب الواقعي القارئ مباشرة، بل من وراء ستار فيثير المشكلة، وينسحب تاركا القارئ بعيدا عن الخطابة، والوعظ وأسلوب المحاضرة والتربية، حيث يعمل الكاتب إلى التقرير.

بالعودة إلى رواية تشيخوف وما نلاحظه فيها أن الكاتب يبدو فيها شاهدا آمينا، يدلي بشهادته حسب الأحداث، فيتقمص أحيانا شخصية الأبطال فتتحول الرواية إلى مناجاة داخلية، يقوم بها البطل لوصف

بكره واحتقار وازدراء تجاه العمدة و "سيد يلينكوف" الذي يستغل الفلاحين منفذا بذلك سلطان الإقطاع والدولة.

استخدم تشيخوف عدة أنواع من السرد، لعل أبرزها الراوي السارد الذي يظهر في صيغة المتكلم، كما استخدم السرد الكلاسيكي كقصة يرويها الكاتب للقارئ، فهو راو عليم أو سارد عليم "والسارد العليم أو المحيط بكل شيء سارد على علم بصورة عمله وبكل شيء عن المواقف والوقائع المحكية، مما يكرس لفكرة المحايدة والموضوعية ويشي في الوقت نفسه بالواقعية"، (جمعة، 2020، 05) فصاغ الأحداث والتفاصيل، وقاد صغيرها وكبيرها، دقيقها وجليلها، بشكل غير مرئي؛ "فالسارد لا يفعل أكثر من أن يصف لنا ما نراه أو نسمعه"، والأحداث نقلها إلى السامعين في أمانة وصدق ومن غير تدخل منه بزيادة أو نقصان فيرويها بالتمام والكمال كما وصلت إليه وذلك توخيا للصدق والأمانة في النقل عن الواقع الإنساني" (الكردي، 1992، 121)؛ أي دون أن يتدخل ويقحم ذاته، أو معتقداته، أو عواطفه فيما يصور، أو في أحداث وشخوص الرواية، فجعل بطله حاضرا في معظم الرواية، لذا ف تشيخوف كان حياديا، يقوم بعرض الأحداث ويحللها وفق واقع الشخصية، دون تدخل وبشكل موضوعي فهو راو شاهد "وهو الراوي الذي يظهر في أسلوب السرد الموضوعي – غاية الموضوعية – حيث لا يتدخل في عالم روايته بتعليق أو انحياز، وبحيث يتحدد دوره في مجرد الشهادة شهادة الكتابة على زمنها وعلى واقعها الاجتماعي والثقافي". (يوسف، 2015، 52) ومنذ السطور الأولى من رواية تشيخوف يظل الحياض مسيطرا عليه، ومهيمننا على معظم بنية السرد و بانتقالنا إلى رواية الشرقاوي "الفلاح"، فهناك ما يميزها هي أيضا، وهو تعدد أصوات السرد، فجاء السرد أحيانا بضمير المتكلم يبرز من

خلاله السارد الراوي، والأمثلة كثيرة في الرواية، منها مثلا هذا المقطع: "عندما كنت في باريس كنت أحب دائما أن أسير وحدي في جو كهذا" (الشرقاوي، د ت)، (01). ثم يختفي فجأة ضمير المتكلم، ليبرز ضمير الجمع، كما في هذا المقطع السردى: "لماذا يحدث لنا دائما عندما نكون في الخارج، أن نهتم بالآثار والمتاحف" (الشرقاوي، د ت)، (58)، ثم تقمص الراوي شخصية عبد العظيم ليروي بنفسه حكاية عودته من القاهرة إلى القرية ونشأته ودراسته، وما تعلمه، وعلاقاته بكل من حوله في قوله: "فجأة قررت أن أعود إلى قريتي عرفتة وعرفت معه الشوق إلى السعادة" (الشرقاوي، د ت)، (02)، يتضح أن الراوي في هذا المقطع عليم بكل أحداث الرواية وتفاصيلها الجزئية، ويقود الأحداث بشكل جزئي وفي تنامي مستمر، نمو شخوص الرواية مع نمو الأحداث وتطورها، لكنه جعل ذلك بشكل غير مرئي، دون أن يتدخل في أحداث الرواية أو في شخوصها.

لذا نعد الشرقاوي كاتباً حيادياً، بعرضه للأحداث وتحليلها وفق واقع الشخصية، وطبيعة الأمور بشكل موضوعي، وهذا ما نلاحظه في الرواية، ف الشرقاوي يظهر في الكثير من المواقف في الرواية كشاهد أمين، ينقل شهادته كما هي دون تدخل العواطف وذاتيته، يتقمص أحيانا شخصية من أبطال الرواية، فتتحول روايته بذلك إلى مناجاة داخلية، وهنا تظهر حيادية الكاتب، بحيث أنه استطاع أن يقود القارئ إلى موقف معين من الشخصية، فأصبح القارئ يقبل وينهى من تلقاء نفسه، فنجد الراوي يرسم ويجسد أحداث الرواية كشاهد أمين. فمثلا نراه أثناء ذلك الحوار الذي دار بين شخصين يظهر من خلالها الكاتب حيادي، دون أن يعطي رأيه في الحوار الذي جرى بين "رزق" و"حسنيين"، كما يتضح من هذا المقطع: "الذي يدفع سالم إلى أقرب نخلة، وقلع الحزام الذي كان يشد به

الكاتب وميوله للطبيعة وحب تأملها بوصفها مصدر إلهام لديه، كما عند أغلب الكتاب الذين انتقلوا من التأملات الرومنطيقية إلى الحس الواقعي، جعلت هذه السمة الأدبية عنصر الطبيعة يحتل مكانة هامة في روايته، أكثر مما هي عليه عند الشرقاوي.

- لاحظنا انعكاس الأيديولوجية الفكرية الاشتراكية، التي تنادي بالنضال والتحرر، في رواية "الشرقاوي" التي يمكن تفسيرها بالانتماء الأيديولوجي للكاتب، مما جعل روايته وأدبه-استجابة لم نطلقاته الفكرية ومرجعياته الثقافية، في حين لا نلاحظ هذا الانتماء الأيديولوجي في رواية أنطون تشيخوف ولا يعني هذا ابتعاد هذا الأخير عن نهجه الواقعي، وإنما يعود ذلك إلى قناعاته الفكرية التي تركز أكثر على الواقعية النقدية، كما تعود أيضا إلى انتمائه الحضاري ومرجعياته الثقافية المتخلفة تماما عن قناعات عبد الرحمن الشرقاوي المشبعة بالثقافة المشرقية.

ب- أوجه التشابه

- تلتقي الروايتان على مستوى العنوان، يكمن الفرق بين صيغة المفرد عند الشرقاوي "الفلاح"، وصيغة الجمع عند تشيخوف "الفلاحون".

- صورت الروايتان الوضع الاجتماعي والسياسي في فترة زمنية محددة يمكن تفسيرها تاريخيا وفق مسار المجتمعين المصري والروسي؛ ومن ثم أظهرت كل رواية مدى التفاوت بين طبقات المجتمع، بين الذين يعيشون في ترف، والذين يعيشون في فقر مدقع.

- لاحظنا أن الروايتين تماثلت في معالجهما قضايا عديدة اتخذتا الواقع مادتهما، منها: الفقر، الظلم، المرض، الجهل، الإقطاع، العلاقة السائدة بين كبار الملاك وصغار المزارعين.

- كما استخلصنا أيضا بأن موضوع الروايتين ينتهي إلى الطبقة المهمشة، الكادحة، الفقيرة، طبقة الفلاحين التي تعاني ويلات الفقر والحرمان، بسبب هيمنة

سالم وسطه، فأوثقه به إلى النخلة بإحكام وسالم يقاوم لكن بلا جدوى" (الشرقاوي، (د ت)، 59). أبرز الكاتب هنا شدة الخصام بين شخصيتين لكنه لم يتدخل، ويعطي موقفا يعبر فيه عن الرفض أو القبول، بل ترك للقارئ تلقيا للفكرة، هو الذي سريدي بموقفه، وهنا تبرز حياديته الروائي، من خلال استخدامه تعدد أصوات السرد، ومن ثم قاد أحداث الرواية بشكل غير مرئي، ودون أن يتدخل في أحداثها أو في شخصياتها، وجعل بطله حاضرا، وعرض الأحداث عرضا موضوعيا، وهذا ما يدل على حياديته.

وآية القول بعد هذا التحليل القصير، نستخلص جملة من النتائج تتعلق بأوجه الاختلاف بين الكاتبين عبد الرحمن الشرقاوي و أنطون تشيخوف نلخصها فيما يلي:

أ- أوجه الاختلاف

- تبرز المرجعية الدينية والفكرية والثقافية، بما في ذلك الأعراف والعادات والتقاليد، في رواية الشرقاوي أكثر منها في رواية تشيخوف، ويكمن مرد ذلك إلى الانتماء الديني والفكري، والوضعية الاجتماعية لكل كاتب، بحيث يختلفان كل الاختلاف على المستوى العقائدي، وعلى المستوى الثقافي بين الشرق والغرب.

- تجلت الخصائص الواقعية على مستوى الأسلوب، بحيث امتازت اللغة في الروايتين بالسهولة والوضوح، كما عكست وصورت الواقع الاجتماعي والسياسي للروايتين، إلا أن التداخل والتعدد اللغوي امتازت بهما رواية الشرقاوي، مما زادها دقة في نقل الأحداث وتصوير حركية الواقع بطريقة أقرب إلى الحياة الواقعية، يعود ذلك -في اعتقادنا- إلى الانتماء الحضاري للكاتب، وإلى مرجعيته الفكرية والأدبية.

- أظهرت رواية تشيخوف ارتباطا أكثر بالطبيعة، بحيث تجلت بكل جزئياتها تفاصيلها في رواية "الفلاحون"، ومرد ذلك بحسب سيرته، إلى اتجاه

الأيوبي، ي. (1984). *مذاهب الأدب معالم وانعكاسات*، الكلاسيكية، الرومنطيقية، الواقعية (2. éd.) بيروت: دار العلم للملايين.

جميل حمداوي. (بلا تاريخ). *مفهوم التهجين وآلياته في الرواية* (الإصدار 1). دار النابغة.

جميل نصيف التكريتي. (1990). *المذاهب الأدبية* (الإصدار 1). بغداد: دار الشؤون الثقافية.

حمدي الشيخ. (2005). *جدلية الرومانسية والواقعية في الشعر المصري المعاصر*. الإسكندرية، مصر: المكتب الجامعي الحديث.

عايدي علي جمعة. (2020). *المهمش وتقنيات السرد في بنت مدارس*. 4.

عبد الرحمان الشرقاوي. ((د ت)). *الفلاح*. نشر وتوزيع مؤسسات بن عبد الله.

عبد الرحمن الكردي. (1992). *السرد في الرواية المعاصرة "الرجل الذي فقد ظله" نموذجاً* (الإصدار 1). دار الثقافة.

فائزة عثمان. (2015-2016). *ظاهرة العنف في الرواية الجزائرية (مقاربة بنيوية تكوينية)* (مذكرة ماجستير). معسكر، الجزائر: جامعة مصطفى إسماعيل.

فائق مصطفى، و عبد الرضا علي. (1989). *في النقد الأدبي الحديث*. دار الكتب.

فيصل دراج. (1981). *الواقع والمثال* (الإصدار 1). بيروت: دار الفكر الجديد.

مجلة مريم أكبري موسى أبادي. (2021). *دراسة ملامح الواقعية في رواية "صيف مع العدو لشهلا العجيلي"*. 11(42).

الطبقة الإقطاعية على جميع أسباب الحياة السوية، مما جعل الفلاحين يعيشون القهر والاستبداد.

- تفسر هذه العلاقة بين الطبقتين تأثير الروائيتين تأثيراً كبيراً بالحياة الريفية، حيث كانت القرية مصدر إلهامهما، فانطلق الكاتبان من سياق واحد، وهو سياق سوسيولوجي جسد واقعية المكان.

- صورت الروائيتان البيئة السياسية والاجتماعية والاقتصادية في زمن الكتابة، على الرغم من اختلاف انتمائهما الحضاري، إلا أنهما تمكنا من الالتزام بأهم مبادئ الأدب الواقعي، حيث عكست العملاقان الروائيان أهم وأبرز خصائص الواقعية بغض النظر عن المدرسة الواقعية التي ينتمي إليها كل كاتب، سواء أكانت المدرسة الواقعية الاشتراكية أم المدرسة الواقعية النقدية. لقد التزم كل كاتب بما دعا إليه تيار الواقعية في الأدب، تكمن الفوارق في الجزئيات فحسب، ولا تكمن في جوهر هذا التيار الأدبي الذي هيمن على آداب الشعوب منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر. قائمة المراجع:

إبراهيم مصطفى. (1999). *نقد المذاهب المعاصرة*. الإسكندرية، مصر: دار الوفاء.

أحمد مرشد. (1994). *البنية والدلالة في روايات إبراهيم نصر الله*. عمان، الأردن: الدار الفارس.

الأصفر، ع. (1999). *المذاهب الأدبية لدى الغرب*. دمشق: اتحاد الكتاب العرب.

أمنة يوسف. (2015). *تقنيات السرد في النظرية والتطبيق* (الإصدار 2). عمان: منتديات مجلة الابتسامة، دار الفارس.

أنطون تشيخوف. (1967). *الفلاحون*. (مرسي سيد مرسي، المترجمون) القاهرة: دار الكتاب العربي.

محمد خرماش. (2006). إشكالية المنهج في النقد الأدبي
المغربي المعاصر (التوجهات الثقافية وتطور
الفكر النقدي حتى الثمانينات) (الإصدار 1).
فاس، المغرب: مطبعة أنفو.

محيه الحاج معتوق. (1994). أثر الرواية الغربية في
الرواية الحديثة (الإصدار 1). بيروت: دار الفكر
اللبناني.

مهران ر. (1979). الواقعية واتجاهاتها في الشعر العربي
المعاصر. القاهرة: الهيئة العامة للكتاب.

ميخائيل باختين. (1987). الخطاب الروائي. (محمد
برادة، المترجمون) الرباط: دار الأمان.

النساج، س. ح. د. ت. (في الرومانسية والواقعية. مكتبة
عربي.